

**التناس والظباق
في شعر السيد صادق الفحام**

*The Symmetry and Fascination in the
Poetry of Sayyid Sadiq Al-Faham*

**أ.م.د. ناصر قاسمي
جامعة طهران / كلية الإلهيات
وائل كامل رشودي**

*Asst. Prof. Dr. Nasser Qasimi
University of Tehran/ Collage of Elahiyat
Waiel Kamil Rashudi*

ملخص البحث

يعدُّ الشاعر صادق الفحّام (١١٢٤-١٢٠٥) من أفذاذ العلماء في عصره حتّى قيل إنّه سمّي بالفحّام؛ لإفحامه العلماء والشعراء في مسائل طُرحت على جملة من أعلام عصره، فكان هو العالم الوحيد الذي حلَّ طلسم تلك المسائل بعد أن أفحم الحاضرين، لذلك اهتمَّ كثير من الباحثين بدراسته، وخصوصاً شعره الذي انطوى على كثير من الفنون البلاغية والخصائص النصّية التي تعكس قدرة أدبية وإبداعية كبيرة لدى شاعرنا، ولعلَّ من أبرز هذه الخصائص ما يُعرف بالتناسخ، إذ يحمل شعره كثيراً من آثار أسلافه، وقد وضعناه في المبحث الأوّل، فنجد في شعره أثراً للقران الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربيّ القديم، والأسطورة، وغيرها من المضامين الثقافية التي جسّدها نصُّه الشعريّ، ويضاف إلى ذلك مجموعة من الفنون البلاغية، ولعلَّ أهمّها وأكثرها ظهوراً في ساحة النصّ الشعريّ (الطباقي)، الذي احتلَّ المبحث الثاني من هذا البحث، فقد وقفنا عليه بشيءٍ من التفصيل في شعر السيّد صادق الفحّام رحمه الله، ثمّ ختمنا بأهمّ النتائج التي توصل إليها البحث، وأتبعنا ذلك بالمصادر والمراجع المعتمَد عليها.

Abstract

The poet Sadiq al-Faham (1124-1205) considered one of the most prominent scientists in his time until it was said to be called (Al Faham) because of his Knowledge and wisdom all over the scholars and poets in the issues raised on a number of the flags of his time, He was the only scientist that resolved these questions after the audience were coded by many question with no answers.

So many researchers interested in studying his arts, especially poetry, which included many of his rhetorical arts and textual characteristics that reflect the ability of literary and creativity as a great poet, perhaps the most prominent of these characteristics is known as "Altnaz" as the poem carries many of the effects of his predecessors that have been put in the first topic, in his poetry we find an impact of the "holy Koran" and "Hadith" on his poetry also the Arab ancient legend and other cultural content embodied by the text of his poetry, in addition to a group of rhetorical arts and perhaps the most prominent and

most visible in the poetic area or the Arabic poetic text (Tabak). Which took place in the second part of this research, also we have commented on it in some details in the of Mr. Sadiq Al-Faham (may God have mercy on him) poetry , then we sealed the most important findings of the research, and followed the sources and references that we depend upon.

مقدمة البحث

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، أحمدك يا ربّي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وعلى آله وصحبه المنتجبين.

وبعد...

يهدف هذا البحث إلى دراسة بعض خصائص شعر السيد صادق الفحام، وهو شاعر من الشعراء العراقيين المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ؛ لكون هاتين الظاهرتين (التناص والطباق) قد برزتا في شعره، فكانتا موضوعاً للدراسة، على الرغم من أنّ المصطلحين لم يُعرفا في الدراسات النقدية العربية حديثاً، وخاصّةً أنّ التناص لم يُعرف ك مفهوم نقديّ في الدراسات العربية إلا حديثاً عن طريق الترجمة، بلحاظ أنّ النصّ الأدبيّ ليس نظاماً لغوياً مقفلاً ومستقلاً عن البيئة المحيطة، وإنّما هو سلسلة من الارتدادات والانعكاسات لمعانٍ ودلالات متعدّدة، وهذا لا يعني أنّ مفهوم التناص لم يكن موجوداً في تراثنا النقديّ، ولا سيما في أشعار المقدّمة الطليّة، وكذلك يتجلّى واضحاً في أشعار الإسلاميين وما بعدهم من القرآن الكريم.

وقد تأثر السيد صادق الفحام بالشعراء الذين اهتموا بالتناص والطباق أمثال امرئ القيس والمنتبيّ، وهذا ما شجّع الباحث لإجراء بحث ودراسة في هاتين الخصيلتين وبيان معانيهما وأنواعهما وصورهما وأساليبيهما، على الرغم من اختلاف الدراسات النقدية العربية في تحديد مفهوم التناص، ورغبةً في إعطاء الجذور التأصيلية له، فهناك

من يرى أنه مولودٌ غربيٌّ لا يمكن أن ينسب لغيره، والبعض الآخر عاد إلى جذور الثقافة العربية لإيصال التناص إلى نسبه الحقيقي، أمّا الطباقي فقد أصبح مصطلحاً بلاغياً عند أرباب الصنعة، وهو ليس بعيداً عن مفهوم أهل اللغة، أي أن يأتي الأديب بالشيء وضده على وجه المساواة من غير زيادة ولا نقصان لمساواة أحد القسمين صاحبه في البيت الشعريّ.

وقد جاء البحث على مقدّمة ومبحثين، خصّصت المبحث الأوّل للحديث عن التناص في شعر السيّد الفخّام، تضمّن التناص مع القرآن الكريم، والتناص مع الحديث النبويّ الشريف، والتناص مع كلام أهل البيت عليهم السلام، وأيضاً التناص مع الموروث الأدبيّ.

وتناولت في المبحث الثاني أنواع الطباقي وأثره في شعر السيّد صادق الفخّام، ثمّ اختلاط الطباقي مع المحسّنات البديعيّة الأخرى، وسبق ذلك كلّ مدخل يتضمّن تعريف الطباقي في اصطلاح البلاغيّين والنقاد.

وأعقبت المقدّمة وهذين المبحثين نتائج البحث والهوامش والمصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول

التناص

قال ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ): «أتكالم الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه على معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات»^(١)، أمّا ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) فنجده أحياناً يعبر عن التناص بالسرقات الشعرية، فيقول: «ذلك من أحسن السرقات»^(٢).

وقد رصد هذا الأثر عند النقاد العرب القدامى، فقد اتخذ تسميات متعدّدة اندرجت فيما سمّوه بالسرقات الأدبية التي خصّصوا لها مجالاً واسعاً في كثير من مؤلّفاتهم، فالشاعر مهما كانت موهبته أو نبوغه الشعري، فإنّه يحمل نفحات من نصوص غيره، ومن هذه النفحات ما هو واضح جلي، ومنها ما يتطلّب براعة الناقد وحصافته للكشف عنها، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أنّ النقاد القدامى قد اختلفوا في تشغيلهم لمصطلح السرقات بين الرفض أو الاستهجان أو القبول^(٣).

وقد أورد ابن الأثير القول بأنّ التناص من السرقات الشعرية بقوله: «إنّ هذا القول ينفي بكاراة النصّ الإبداعي، كما ينفي عنه السرقة بالمعنى؛ لأنّ الشعراء الأوائل قد طرّقوا جميع المعاني وتفنّنوا في قولها، ولهذا فإنّ النصّ يترأى جديداً مبتكراً، فإنّ معناه قد طرّق بشكل أو بآخر في الدواوين الشعرية السابقة، وبهذا فالتناص قدر كلّ نصّ، ومهما كان جنسه»^(٤)، وهذا يعني أنّ التناص حاضر في مستويات الحياة كافة، ومتأصل في التراث

الإنسانيّ، ولا فكاك منه؛ لأنّه قانون طبيعيّ في الثقافات والحضارات الإنسانيّة^(٥)، وهذا ما أشار الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله: «لولا أنّ الكلام يعاد لنفد»^(٦).

فهو إذن لازمة من لزومات تقدّم الحضارات الإنسانيّة أو تطوُّرها، لكن بالرغم من هذا فإنّ اهتمام العرب القدامى بالعلاقات بين النصوص كان اهتماماً قاصراً، مع تمكُّنهم من رصد بعض العلاقات التي تصبُّ في نظريّة التناص، إلّا أنّ البذور والإرهاصات لم تجد من يستثمرها ويبلورها في نظريّة متكاملة، وهي لا تزال بحاجة إلى قراءات جادّة وعمليّة؛ لتبويبها واختزنها وإعادة إنتاجها بصورة تكون فيها أكثر فعاليّة في الساحة النقديّة العربيّة، وأكثر ارتباطاً بمفاهيم التناص الحديثة^(٧).

وسأحاول رصد النصوص التي تناصّ معها السيّد الفحّام في شعره، وهي كما يأتي:

١. التناص مع القرآن الكريم.
٢. التناص مع الحديث النبوي الشريف.
٣. التناص مع كلام أهل البيت عليهم السلام.
٤. التناص مع الموروث الأدبيّ.

التناص مع القرآن الكريم

إذا أمعنا النظر في شعر السيّد صادق الفحّام وتناصّه مع القرآن الكريم سيثبت بالدليل القاطع أثر الإسلام في شعره، فالسيّد صادق تطرّق إلى مفاهيم وأفكار وموضوعات إسلاميّة، وعالجها معالجة مستمدّة من آيات القرآن الكريم، فهو في بعض أشعاره كأنّها يصوغ تلك الآيات شعراً، فقد تميّز بقدرته على استيعاب معاني القرآن

الكريم وصياغتها شعراً، فالقارئ لشعره يستطيع أن يميّز من أيّ آية استقصى هذا البيت، ومن تلك الأبيات قول السيّد الضحّام في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

أَنْتُمْ الطَّاهِرُونَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ

حَسَبًا نَصَّ مُحَكَّمُ الْفُرْقَانِ^(٨)

في البيت تناصّ واضح مع قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لِنَمَايُرِدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٩)؛ إذ يعطي الشاعر دليلاً من القرآن الكريم في غاية الأهمية على أنّ الحسين عليه السلام من سيّد الأنام، وهو الطاهر من كلّ رجس، وهذا دليل على عصمته؛ إذ إنّ المقصود من الرجس مُطلق الذنوب والآثام والأدناس، وإنّ المقصود من التطهير هو التنزيه من كلّ ألوان المعاصي والذنوب، والتزكية من جميع أنواع الأدناس والأفذار^(١٠)، وكذلك قول السيّد صادق عليه السلام في مدح الإمام الكاظم عليه السلام:

فَهُوَ سِرُّ اللَّهِ وَالْبَابُ الَّذِي

مِنْهُ يُؤْتَى وَهُوَ حَبْلُ الْمَتِينِ

وَهُوَ الْكَاطِمُ وَالْعَافِي عَنِ النَّاسِ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١١)

فالبيتان تناص مع آيتين قرآنتين الأولى من سورة البقرة: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٢)، والثانية من سورة آل عمران: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾^(١٣)، أي تمسكوا بدينه، فإن كنتم قبل الإسلام أعداء فالف بين قلوبكم فصرتم بنعمته إخواناً في الدين والولاية، وهذا نابع من أنّ الشاعر قد استقصى الأبيات من الآيات القرآنية، وينبئ هذا أيضاً على مدى إجلال الشاعر للنصّ القرآنيّ، فهو يقتبس منه كثيراً من أشعاره.

وقوله في مدح الإمامين الكاظمين عليهما السلام:

هَذِهِ الْفِرْدَوْسُ وَالْمَثْوَى الْأَمِينُ
فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ
وَاخْلَعُوا النَّعْلَ فَذَا وَادِي طُوى
حَيْثُ شَبَّتْ نَارُ مُوسَى عَنْ يَمِينِ^(١٤)

البيت الأول تناص مع قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾^(١٥)، والبيت الثاني تناص مع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ۖ وَإِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوى﴾^(١٦).

المضامين والمفاهيم القرآنية

أورد الشاعر بعض الشخصيات من الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم، مثل قصة النبي إبراهيم وأيوب وموسى ونوح وعيسى عليهم السلام، كقوله في مدح الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

فَتَى بِاسْمِهِ الْمَيْمُونِ عَثْرَةٌ آدَمَ
أُقِيلَتْ وَقَدْ جَلَّتْ وَسَاءَ مَقَمُهَا
وَإِنْ تَحْمِلِ الْأَلْوَاخِ نُوحًا فَبِاسْمِهِ
جَرَّتْ فِي جِبَالِ الْمَوْجِ جَدًّا صِطْدًا مَهْمَا^(١٧)

فالشاعر يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١٨)، وجاء في تفسيرها: فتلقى آدم من ربه كلمات فقال سأله: بحق محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم^(١٩)، وفي البيت الثاني يشير إلى قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا

مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴿٢٠﴾، فأشار الشاعر إلى قصة نوح عليه السلام والسفينة التي أمر الله بصنعها من الألواح، فتمكّن عليه السلام من صنعها بثلاثين سنة، ثم أمر أن يُحمل من كل زوجين اثنين الأزواج الثانية التي خرج بها آدم عليه السلام من الجنة؛ ليكون معيشة لعقب نوح عليه السلام في الأرض ^(٢١)، وقوله عليه السلام في نفس القصيدة:

وَإِنْ يَنْجُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ حَرِّ نَارِهِ
فَقَدْ كَانَ فِيهِ بَرْدُهَا وَسَلَامُهَا
وَإِنْ تَكُ نَأَلْتَ نَفْسُ أَيُّوبَ سُؤْلَهَا
فَفِيهِ تَجَلَّى كَرْبُهَا وَسَقَامُهَا ^(٢٢)

تنصص مع قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ^(٢٣)، فحينما قال الله تعالى للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، لم تعمل يومئذ ناراً على وجه الأرض، ولا انتفع بها أحدٌ ثلاثة أيام، فكان نمرود حينها ينظر بشرفة على النار، فدعا إبراهيم ربه وقال: يا الله يا واحداً يا واحداً يا صمد، ويا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نجّني من النار برحمتك، فأوحى الله إلى النار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ^(٢٤).

وفي البيت الثاني فيه ذكر لما جرى على نبي الله أيوب عليه السلام من المرض والكره والسقام، إذ ابتلى أيوب بغير ذنب، وأن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يذنبون؛ لأنهم معصومون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، فالله تعالى ابتلى أيوب من المرض بغير ذنب، فصبر حتى عيّر والأنبياء لا يصبرون على التعيير ^(٢٥)، وقول السيد عليه السلام أيضاً:

وَإِنْ رَدَّ مُوسَى كَيْدَ فِرْعَوْنَ بِالْعَصَى
فَقَدْ كَانَ فِيهَا فَلَقُهَا وَالتِّقَامُهَا

وَإِنْ أَنْشَرِ الْأَمْوَاتَ عِيسَى فَإِنَّمَا

بِهِ نَشَرَهَا بَعْدَ الْبَلَى وَقِيَامُهَا^(٢٦)

تناص في البيت الأول مع قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢٧)، وكذلك تناص مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ فِرْعَوْنَ يَجْمَعُ لَكَ الْجَمْعَ، فَلَا يَهْلِكُ شَأْنُهُ، فَإِنِّي أَكْفِيكَ كَيْدَهُ، فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدَ فِرْعَوْنَ وَالْعَصَا مَعَهُ عَلَى حَالِهَا حَيَّةً تَتَّبِعُهُ وَتَنْعَقُ وَتَدُورُ حَوْلَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ مَتَعَجِّبِينَ وَقَدْ مَلَأُوا رِعْبًا، حَتَّى دَخَلَ مُوسَى عَسْكَرَهُ وَأَخَذَ بِرَأْسِهَا فَإِذَا هِيَ عَصَا^(٢٩)﴾.

وفي البيت الثاني الشاعر يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَعُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣٠)، إذ مكث عيسى عليه السلام مع قومه حتى بلغ سبع سنين أو ثماني، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويعلمهم التوراة، وأنزل الله تعالى عليه الإنجيل لما أراد أن يتخذ عليهم حجة، وقد سأل الروم عيسى عليه السلام أن يحيى سام ابن نوح عليه السلام، فأتى إلى قبره وأحياه، وقد قال له عيسى عليه السلام: «أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَبْقَى أَوْ تَعُودَ؟ فَقَالَ: يَا رُوحَ اللَّهِ، بَلْ أَعُودُ إِلَيَّ لِأَجْدَ لَفْعَةَ الْمَوْتِ فِي جَوْفِي إِلَى يَوْمِي هَذَا»^(٣١).

أما عن قصة يونس ويعقوب عليه السلام، فقد ذكرها السيد الفحام بقوله:

وَإِنْ تَنْحَسِمَ عَنْ صَاحِبِ الْحَوْتِ مُذَدَعًا

حَدَّافِرٌ بَلَوَاهُ فِيهِ انْحِسَامُهَا

وَأَمَّا يُعَاوِدُ عَيْنَ يَعْقُوبَ نُورَهَا

فَفِيهِ انْجَلَى لَأَبِي الْقَمِيصِ ظَلَامُهَا^(٣٢)

فالييت الأول تناص مع قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾^(٣٣)، وكذلك مع قوله تعالى: ﴿فَالنَّقْمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾^(٣٤)، فالتناص أن يونس عليه السلام غاب عن قومه ثمانية وعشرين يوماً، سبعة في ذهابه، وسبعة في بطن الحوت، وسبعة في العراء، وسبعة في رجوعه إلى قومه، فأمنوا به وصدقوه وأتبعوه عليه السلام^(٣٥)، وفي البيت الثاني يتناص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣٦)، أي إن يوسف عليه السلام أوصى أن يلقي قميصه على وجه أبيه يعقوب عليه السلام فارتد بصيراً بعدما كان قد عمي، وعادت إليه قوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن^(٣٧)، وقول السيد صادق الفحام في قصّة داود عليه السلام:

وَإِنْ هَزَمَ الْأَجْنَادَ دَاوُدُ آتِيًا

عَلَى نَفْسِ جَالُوتٍ فِيهِ انْهَزَامُهَا

وَإِنْ يَكُ قَدْ لَانَ الْحَدِيدَ بِكَفِّهِ

فَهَاتِيكَ نُعْمَى كَانَ فِيهِ تَمَامُهَا^(٣٨)

الشاعر يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَاتَكَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣٩)، وفي البيت الثاني تناص مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالَةُ الْحَدِيدُ﴾^(٤٠)،

فنبئُ الله داوودَ أوَّلَ من جمعت له النبوةُ والملك بعد قتله جالوت، فكان من أنبياء بني إسرائيل الذي بلغ ملكهم في مدة داوود حدًّا عظيمًا من البأس والقوَّة واخضاع الأعداء، وأوتي داوود الزبور فيه حكمة وعظة، فكان تكملة للتوراة التي كانت تعليم شريعة، فاستكمل داوود الحكمة ودقائق الكلام^(٤١).

فضرب السيّد صادق الفخّام مثلًا بالأنبياء عليهم السلام؛ ليسحب أحداث هذه القصص على واقع الإمام عليّ عليه السلام الذي هو النبتة من الفصيلة الكبرية، وثمرة ما جاء به الأنبياء، فيتناص الشاعر معها بشكلٍ اجتراريٍّ؛ ليأخذ منها العبرة بشكلٍ مباشرٍ، كقوله:

فَتَى بِاسْمِهِ الْمَيْمُونِ عَثْرَةُ آدَمَ
أُقِيلَتْ وَقَدْ جَلَّتْ وَسَاءَ مَقَامُهَا
إِمَامٌ أَقَامَ الدِّينَ بَعْدَ انْهَادِهِ

بِيضِ طَبِيِّ السَّمْرِ صَحَّ اثْتِمَامُهَا^(٤٢)

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه: «لما أشرف نوح صلوات الله عليه على الغرق دعا الله بحقنا فرفع عنه الغرق، ولما رُمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل النار بردًا وسلامًا، وأن موسى عليه السلام لما ضرب طريقًا في البحر دعا الله بحقنا فجعله يسًا، وأن عيسى لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجا من القتل فرفعه إليه»^(٤٣).

فهذه التناصّات الموجودة جاءت موافقة لما في القرآن الكريم والسنة، وفي نطاق العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهذا يدلُّ على ثقافة الشاعر التاريخية في استخدام التراث الديني في إيصال الفكرة الكامنة، فأنتجت هذه الثقافة هذه الأشعار، فهذا النمط من التناصّ مع القرآن الكريم وجد قبولًا عند المتلقّي، فكان من الطبيعي ظهور تناصّات قرآنيّة في كلام العامّة والخاصة بشكلٍ عفويٍّ وبدون تكلف^(٤٤)، لذلك فالشاعر يجزم

بأنّ القارئ سينصرف ذهنه إلى قوله تعالى بمجرد سماع الأبيات؛ لما يضيفه النصّ القرآني في بنية نصّه الشعريّ، كقوله في أحمد خان المتبرّع في بناء روضة سامراء:

هَنِيئًا لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ رَاحَ رَافِعًا

قَوَاعِدَهَا مِنْ أَجْرِهَا مَا أَفَادَهُ^(٤٥)

البيت تناص مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا فَاقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤٦)، وقوله أيضًا في مدح الكاظمين عليه السلام:

وَاخْلَعُوا النَّعْلَ فَذَا وَادِي طُوى

حَيْثُ شَبَّتَ نَارُ مُوسَى عَنْ يَمِينِ^(٤٧)

البيت تناص مع قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(٤٨).

التناص مع الحديث النبوي الشريف

أمّا تناصّه مع الحديث الشريف وكلام أهل البيت عليهم السلام فكان لهذه الآلية نصيبٌ في التناصّ، فحبّ الشاعر للنبيّ وأهل البيت عليهم السلام يجعله يتناص مع مواقف رسخت في ذهنه واستقرّت في قلبه، كقوله في مدح الإمام عليّ عليه السلام:

وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ وَارِثُ عِلْمِهِ

لَهُ كَانَ دُونَ الْخَلْقِ صِهْرًا مُؤَاخِيًا

فِيَا بَابَ عِلْمِ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى

عَلَى الْأَرْضِ وَاسْتَمَطَى الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا^(٤٩)

في البيت تناص واضح مع قول النبيّ صلوات الله عليه: «أنا مدينة العلم وعليّ»^(٥٠)، كما ذكرت هذه الرواية في العديد من

المصادر المعتمدة، فذكرها الحاكم في المستدرک، والطبرانی في الكبير، والترمذي وغيرهم، فالشاعر يشبه علم الإمام علي عليه السلام بعلم الرسول صلوات الله عليه، وهو خير خلق الله وأمينه في الأرض، فالشاعر يستوحي البيت مما جاء في السيرة النبوية.

وكذلك قوله عليه السلام:

عَلِيٌّ وَوَلِيُّ اللَّهِ مَوْلَى عِبَادِهِ
فَطُوبَى لِمَنْ إِيَّاهُ أَصْحَى مُوَالِيَا
هُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَمَنْ يَتَمَسَّكَ بِهَا
يَكُنْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْحَشْرِ نَاجِيًا^(٥١)

البيت الأول تناص مع قول النبي صلوات الله عليه يوم غدیر خم: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَاوَاهُ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ...»^(٥٢)، وهذا الحديث يسمي بالثقلين اللذين هما القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، أما البيت الثاني فهو تناص مع قول الرسول صلوات الله عليه للإمام علي عليه السلام: «أنت العروة الوثقى»^(٥٣)، فالشاعر أجرى عملية تناصية وتبادلًا نصيًا أكثر فعالية بالطريقة التي تشرح معنى القول، أي معنى العروة الوثقى، وهو قوله: (فمن يتمسك بها... يكن من عذاب الله في الحشر ناجيا)، وقوله أيضًا في مدح النبي المصطفى وأهل بيته صلوات الله عليهم:

وَهُمْ فُلكِ نُوحٍ لَا نَجَاةَ بِغَيْرِهِمْ

لِذَا الْخَلْقِ مِنْ مَوْجِ الرَّدَى الْمُتَلَاظِمِ^(٥٤)

هذا البيت أيضًا تناص مع قول النبي صلوات الله عليه: «إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ دَخَلَ فِيهَا نَجَى وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»^(٥٥).

فقد أبدع الشاعر في تناصّه هنا؛ لأنّ البيت الشعريّ جاء شارحاً ومفسّراً للحديث الشريف، فاستخدم الشاعر هذا التناصّ؛ لأنّ سفينة نوح أصبحت كالمثل الشائع بين الناس؛ إذ كان أمر الله تعالى أن تغرق الأرض بما فيها إلّا مَنْ كان مع نوح عليه السلام في السفينة، فكان ميعاده عليه السلام فيما بينه وبين ربّه في إهلاك قومه ^(٥٦).

التناص مع كلام أهل البيت عليهم السلام

الشاعر يتناص مع كلام أهل البيت عليهم السلام؛ ليعطي مؤشّرات مهمّة في السيرة النبويّة، وتعريفات ضروريّة للعترة المحمّديّة، وموازن عقائديّة في الأفضليّة، كقوله في مدح الإمام الكاظم عليه السلام:

فَهوَ سِرُّ اللَّهِ وَالْبَابُ الَّذِي

مِنْهُ يُؤْتَى وَهُوَ الْجَبَلُ الْمَتِينُ ^(٥٧)

هذا البيت تناص مع قول الإمام الباقر عليه السلام: «نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن حجج الله ونحن جبل الله...» ^(٥٨)، ففي هذا التناص تداخل نصوص تاريخيّة مع كلام الإمام، وكذلك نصّ القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ^(٥٩)، لذا فتداخل نصّ القرآن وكلام الإمام في شعره؛ ليحقّق غرضاً فنياً أو فكرياً، فتصهر الصورة وتشكّل في قلبها اللغويّ، محمّلة بأبعاد واقعيّة ونفسيّة وخياليّة، ومن ذلك قوله في رثاء الشيخ العارف إسماعيل الملقّب بالدرويش خادم قبر الصّفا:

لَا كَانَ يَوْمُكَ بِالْحِجَازِ فَإِنَّهُ

يَوْمٌ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مَهُولٌ ^(٦٠)

فالبيت تناص مع أبيات نسبت للإمام المهديّ عليه السلام في رثاء الشيخ المفيد:

لَا صَوْتَ النَّاعِي لِفَقْدِكَ إِنَّهُ
يَوْمٌ عَلَى آلِ الرَّسُولِ عَظِيمٌ
إِنْ كُنْتَ قَدْ غِيَّبْتَ فِي جَدَثِ الثَّرَى
فَالْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ فِيكَ مُقِيمٌ^(٦١)

إذ شكّل الترابط بين البيتين صورة في البناء المقطعي حرّكت معاني القصيدة وقلبها، وهو قوله: (لا كان يومك)، و(لا صوت الناعي)، (يوم على أهل العراق) و(يوم على آل الرسول)، فالشاعر بدأ بيته مقتبسًا من هذه الأبيات ومكرّرًا العنوان الجانبي له، وهذا ما يجعل القصائد تتصل في ما بينها وتبدو قصيدةً واحدةً.

وقوله أيضًا في مدح النبي المصطفى محمد صلوات الله عليه:

وَهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا
مَضَى قَائِمٌ عِشْنَا بِدَوْلَةٍ قَائِمٍ
فَخَزَانٌ وَحْيِ اللَّهِ إِنْ غَابَ عَالِمٌ
جَلَّتْ ظُلُمَاتُ الْجَهْلِ طَلَعَةَ عَالِمٌ^(٦٢)

البيت الأول تناص مع قول النبي صلوات الله عليه: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون»^(٦٣).

أمّا البيت الثاني فهو تناص مع قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «نحن شجرة العلم ونحن أهل بيت النبي وفي دارنا مهبط جبرئيل، ونحن خزّان علم الله، ونحن معادن وحي الله»^(٦٤).

التنصص مع الموروث الأدبيّ

يتنصص الشاعر مع كلام الشعراء والأدباء، ويستدعي نصوصهم في شعره، وهذا يدلُّ على سعة اطلاعه ومعرفته بتلك النصوص، فتتنسجَم أشعاره وتتداخل بأشعارهم، أمثال المتنبّي وأبو العلاء المعرّي وامرئ القيس والشريف الرضي وغيرهم، وقد أتبع السيّد في هذا الموروث آليّات وأنظمة التنصص المختلفة، وهي كما يأتي:

التنصص الاجتراريّ / الاقتباسيّ

هذا النوع من التنصص يعمد فيه الشاعر إلى استدعاء النصّ في سياق بيته الشعريّ دون أن يقوم بتغيير النصّ^(٦٥)، أو مع تغييرٍ طفيفٍ لا يمسُّ الجوهر بتطويرٍ أو محاورة، وقد يكون ذلك راجعاً إلى أسبابٍ عدّة، منها: نظرة الاحترام لبعض النصوص والمرجعيّات، فلا يُغيّر فيها.

ومن ذلك قول السيّد صادق الفحّام مقرّضاً تخميس الشيخ محمّد رضا النحويّ لقصيدة البوصيريّ الميميّة:

فَرَنْتُ إِلَى عَدْرَاءِ بُوصَيْرٍ كُفَأَهَا
وَكَانَتْ لِفَقْدِ الْكَفِّ إِحْدَى الثَّوَاكِلِ
(فَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ
لَا تَبِمَا لَمْ يَسْتَطِعْ لِلْأَوَائِلِ)^(٦٦)

فالييت تناصص مع قول الشاعر أبي العلاء المعرّي مع تغييرات بسيطة؛ لإحداث الوزن في البيت، إذ قال المعرّي:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ

لَأَتِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ^(٦٧)

وقد يكون سبب ذلك من جهة أخرى ضعف المقدرة الفنية والإبداعية لدى الذات المبدعة في تجاوز هذه النصوص السابقة^(٦٨)، فالشاعر يريد أن يكون الحضور بين النصين مندجاً، حتى يغدوان كتلة واحدة غير متشظية، وإلا فإن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تجميع لا مسوغ له ولا رابط يربط بين أجزائه؛ ليؤدي دلالة مكثفة لعمل واحد مكون من نصوص شتى سابقة عليه أو معاصرة له^(٦٩)؛ لأن أي نص أو جزء من النص يكون دائم التعرض للنقل من سياق إلى سياق آخر في زمن آخر، فكل نص أدبي هو خلاصة تأليف لعدد من الكلمات، وهذه الكلمات سابقة للنص في وجودها، كما أنها قابلة للانتقال إلى نص آخر، وهي بهذا كله تحمل معها تاريخها القديم والمكتسب^(٧٠).

إن الاقتباس يزيد من فعالية النص ومن قابلية تلقي النص؛ لأن الشاعر يعتمد على إيصال فكرته على نصوص مقتبسة، والوضوح في التناص يحيل الذاكرة إلى النص المقتبس منه؛ فينبه ويذكر^(٧١)، كقول السيد صادق مادحاً الحاج محمد صالح ابن الحاج درويش بن عواد:

كِرَامٌ إِلَى عَلِيَّائِهِمْ تَتَمِّي الْعُلَى

وَفِيهِمْ طَرِيقُ الْحَقِّ أَوْضَحَ لِأَجْبِهِ

(أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ

دُجِيَ اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعَ ثَاقِبُهُ)^(٧٢)

فالييت ما بين القوسين لأبي الطمحان حنظلة بن الشرقي القيني^(٧٣)، فالشاعر استثمر النص كأنه يهزه هزاً عنيفاً بهذا التوظيف، فهذه الأبيات المقتبسة تساعده في الوصول إلى المعنى الكامن في فكره ووجدانه.

ومن تناص الاجترار أيضا قوله في رثاء الإمام الحسين صلوات الله عليه:

بُعْدًا لِيَوْمِكَ إِنَّهُ هَدَمَ الْقَوَى

وَمَرَى الْجُفُونَ وَفَتَّ فِي الْأَعْصَادِ^(٧٤)

والبيت تناص مع قول الشريف الرضي:

بُعْدًا لِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ فَإِنَّهُ

أَقْدَى الْعُيُونَ وَفَتَّ فِي الْأَعْصَادِ

وهذا النوع من التناص لا يخرج فيه المقتبس عن المعنى، ولكن قد يغيّر اللفظ بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال الظاهر من المضمّر^(٧٥)، وهناك ظاهرة أخرى من ظواهر الاجترار في شعر السيد الفحام، وهي ظاهرة التخميس والتشطير، فالتخميس: هو أن يقدم الشاعر لبيت من الشعر بثلاثة أشطر على وزن البيت القديم وبقافية تشبه قافية صدره، فيصبح بخمسة أشطر، لذا يسمّى تخميسًا، أمّا التشطير فهو: أن يأخذ الشاعر بيتًا من الشعر وينظم لصدره عجزًا ولعجزه صدرًا؛ فيصبح البيت القديم بيتين^(٧٦)، وقد شاعت ظاهرتا التخميس والتشطير في الأوساط الأدبية في عصر الشاعر، وقد أُطلق على هاتين الظاهرتين بالتهجين الذي هو تداخل النسب^(٧٧)، أي تداخل أنساب الأشعار، وقد جاء مصطلح التهجين تعبيرًا عن الاختلاط والتداخل بين النصين، وآلية التهجين أكثر ما تنطبق على النصوص الشعرية المسماة بالمخمّسات والمشطّرات؛ إذ يقوم الشاعر بتهجين النصّ الشعريّ عبر المزج بين نصّين من تجربتين لشاعرين مختلفين، ومن ذلك قوله مخمّسًا:

صَبَّ قَضَى فِي مَنْ يُحِبُّ وَمَا قَضَى

وَطَرًا بِذَلِكَ عَلَيْهِ قَدْ حَكَمَ الْقَضَا

فَدَعَا الْجِمَامَ مِنَ الْكَأْبَةِ مُنْهَضًا

(أَحْمَامَةَ الْوَادِي بِشَرْقِيِّ الْعَصَا) (إِنْ كُنْتَ مُسْعِدَةَ الْكَيْبِ فَرَجِّعِي) (٧٨)

والبيتان ليوسف بن لؤلؤ الذهبي، وهما:

أَحْمَامَةَ الْوَادِي بِشَرْقِيِّ الْعَصَا

إِنْ كُنْتَ مُسْعِدَةَ الْكَيْبِ فَرَجِّعِي

إِنَّا تَقَاسَمْنَا الْعَصَا فَعُصُونَهُ

فِي رَاحَتَيْكَ وَجَمْرُهُ فِي أَضْلُعِي (٧٩)

فالشاعر هنا يحاول استحضار هذا النصّ الغائب بنظام الاجترار وتطويره من دون تغييرٍ أو تحويرٍ، بل يكتفي بإيراده كما هو، أو مسخه حينما يريد إجراء بعض التعديلات، من دون المساس بجوهره بشكلٍ أو بآخر، والذي يملئ عليه ذلك هي نظرة الاحترام لهذه النصوص المستحضرة، على الرغم من أنّ هذه النظرة إذا بولغ في ممارستها ستؤدّي بالنتيجة إلى إضعاف القيمة الفنيّة للنصّ أو صورته الشعريّة حتّى يغدو النصّ مجرد تكرارات لا روح فيها، وخاصّةً تلك النصوص التي تنتمي إلى المرجعيّات الدينيّة، مثل القرآن الكريم والحديث الشريف، أو النصوص التاريخيّة الأسطورية مثل أقوال الشعراء، ومن التشطير قوله:

(وَأَمْرٌ مَا لَأَقِيْتُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى)

بَعْدَ الْمَزَارِ وَلَا يَكُونُ رَسُولٌ

وَأَشَدُّ مِنْ بَعْدِ الْمَزَارِ مَرَارَةً

(قُرْبُ الْحَيْبِ وَمَا إِلَيْهِ وَصُولٌ) (٨٠)

والبيتان هما:

وَأَمْرٌ مَا لَأَقَيْتُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى
قُرْبُ الْحَبِيبِ وَمَا إِلَيْهِ وَضُؤُ
كَالْعَيْسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا
وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

والبيتان لا يعرف صاحبهما^(٨١)، فالشاعر يعيد إنتاج أبياته مستخدماً الحدث التاريخي أو الأسطوري نواة للنص، فيستخدم بيتاً شعرياً تراثياً مشهوراً، أو قولاً مأثوراً، أو نصاً دينياً، أو حكمة شائعة، أو حادثة ترسخت في الأذهان، ويني عليها نصه الجديد، وهذا التنصص له دور كبير في إثراء النص بالأفكار والدلالات التي يسعى لتوظيفها في تصويره الفني، ثم يضيف الفكرة الجديدة بالنصوص التي اجترها ثم ألقاها في نصه الجديد.

التنصص الامتصاصي / الإحالي

التنصص الامتصاصي هو مرحلة أعلى في قراءة النص الأصلي، ولهذا يكون أقل ظهوراً، مقارنةً بالتنصص الاجتراري، الذي يعد أكثر حضوراً وتجلياً، فهو لا يعلن عن وجود ملفوظ حرفي مأخوذ من نص آخر، وندمج في بنيته بشكل صريح، وإنما يشير إليه ويحيل الذاكرة عليه، عن طريق وجود دال من دواله، أو شيء منه ينوب عنه، بحيث يذكر النص شيئاً من النصوص السابقة، ينفي ما يراه موثقاً، وملائماً للرؤية التي يتبناها النص الجديد، وينفي ما عداها^(٨٢)، ومن ذلك قوله في مدح السيد صدر الدين الموسوي:

أَعْرَكَ أَنْي بَكَ مُسْتَهَامٌ
وَأَنَّ هَوَاكَ أَوْرَثَ لِي خَبَالِي^(٨٣)

فهو تنصص مع قول امرئ القيس:

أَعْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي

وَإِنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ^(٨٤)

فالشاعر هنا استقرى هذا النصّ لامرئ القيس، ثم أشار إليه بإشارات جوهرية تمثلتها دون الإحالة إلى أصولها بأي شكلٍ من الأشكال، وهذا الأمر اعتمده نقاد نصوص (ما بعد الحدائث)، فالكاتب بحسب د. شجاع العاني: «لا يستنسخ أو يعيد إنتاج نصوص تقليدية قديمة مثلها هي تمامًا، بالرغم من أنه يعود إلى الماضي لاستلهاهم الأساليب في هذه النصوص، بل هو يستفيد منها لخلق نص جديد يتجاوز البنية النصية القائمة، وهو بانفتاحه على المعرفة الإنسانية وبخروجه على الوعي القار الجاهز يتطلب قراءة منفتحة هي أيضًا، قراءة منتجة للنص ولدلالاته، بإعادة تركيب النص واكتشاف آلياته وعناصره»^(٨٥).

وقوله في بث شكواه النبي المصطفى صلوات الله عليه:

إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ أَشْكُوا وَإِنَّهَا

شكَايَةُ مَظْلُومٍ بِصُورَةٍ ظَالِمٍ

والشاعر يتناص مع قول أبي الطيب المتنبي في عتاب سيف الدولة:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ^(٨٦)

الشاعر يستدعي بنية النصّ لدى أبي الطيب المتنبي بالثنائيات والتضاد والكلمات المتناقضة ويشكل بها نصّه الجديد في قوله: (مظلوم بصورة ظالم)، وهذه الثنائية استعملها المتنبي في قوله (الخصم والحكم)، وأن الشاعر لجأ إلى تحوير بعض الألفاظ، لكن الشكل واحد، مستثمرًا شهرة النصّ أو المرجع؛ ليرسل شحنته المعنوية خلالها؛ ضمانًا لوصولها،

وأنَّ الشاعر تعامل مع القَوْلين بشيءٍ من التحوير؛ لأنَّ التحرُّج في التعامل معها أقلُّ من التحرُّج القائم بالتحوير مع القرآن الكريم، فامتصَّ بعض الألفاظ وترك بعضها، وهذا الامتصاص لا يجمِّد النصَّ الغائب ولا ينتقده، بل يعيد صوغه فحسب^(٨٧).

التناص الحواريّ / الإيجائيّ

الحوار تغييرٌ للنصِّ الغائب وقلبه وتحويله؛ بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع، ومحاولة لكسر الجمود الذي يغلف الأشكال والتهيئات والكتابة في الجديد، وتناسي الاعتبارات الدينية والخواص في المسكوت عنه؛ لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحيّة في الإبداع، والانفتاح نحو فضاءات نصيّة جديدة، كان قانون الحوار^(٨٨)، ومن ذلك قول السيد صادق الفحام الأعرجيّ في السيد محمّد المهديّ بحر العلوم الطباطبائيّ^(٨٩) عندما وجد عليه ازدحامًا:

تَزَاحَمَ أَقْدَامَ الْغِرَاثِ بِيَابِهِ

وَيَكْثُرُ فِي وَقْتِ الْعَشِيِّ زِحَامُهَا

إِذَا مَا رَأَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ تَبَادَرَتْ

إِلَيْهِ حِقَافًا: فَذُهَا وَتَوَامُهَا^(٨٩)

فالبيتان تناص مع قول أحد السلاطين العثمانيين، إذ همّ بزيارة مرقد الإمام عليّ صلوات الله عليه، وعندما لاح له القبة الطاهرة ترجّل، إلّا أن أحدًا من حاشيته كان ناصبيًا، فحاول أن يصدّه عن الترجّل مدّعيًا أن إمامًا حيًّا خيرٌ من إمامٍ ميتٍ، فتردّد السلطان ثمّ بعد ذلك احتكم إلى القرآن الكريم متفائلًا، وكان تفائله هو قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَارُ نُبُكَ فَالْخَلْعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوْى﴾^(٩٠)، فترجل وضرب عنق الناصبيّ، وأنشأ هذين البيتين:

تَزَاحَمَ تَيْجَانُ الْمُلُوكِ بِيَابِهِ

وَيَكْثُرُ عِنْدَ الْإِسْتِيلَامِ ازْدِحَامُهَا

إِذَا مَا رَأَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ تَرَجَّلَتْ

وَإِنْ هِيَ لَمْ تَفْعَلْ تَرَجَّلَ هَامُهَا^(٩١)

الشاعر حاور هذا النص، وقام بتوظيفه في سياق نصّه الإبداعيّ مع إجراء بعض التغيير، وإيراد المعنى نفسه باستخدامه ألفاظاً مرادفة؛ لأنّ الشاعر اقتبس المعنى نفسه في صورة المدح، وقد نُقِشت أبيات السلطان العثمانيّ مراد على جدار صحن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد حُسمت هذه الأبيات وشطّرت مراراً عديدة من قِبَل كبار شعراء حرم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف، أمثال السيّد المهديّ بحر العلوم عليه السلام، والشيخ كاظم الأزريّ عليه السلام، ومن الحوار أيضاً قول السيّد الفخّام في مدح النبيّ المصطفى صلوات الله عليه:

وَيَا لَكَ فَضْلاً لَمْ يَزَلْ مُتَصَاغِراً

لَهُ كُلُّ فَضْلٍ فِي الْوَرَى مُتَعَاظِمٍ^(٩٢)

والبيت تناص حواريّ مع قول أبي الطيّب المتنبّي مادحاً سيف الدولة:

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا

وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ^(٩٣)

الشاعر يستلهم ثنائية (الصغر والعظم)، وثنائية (القوّة والضعف) من بيت أبي الطيّب المتنبّي؛ لأنّ هذا البيت مشهور، وكثيراً ما يتناص الشاعر مع أبيات المتنبّي وخصوصاً في ألفاظ الحرب والسلاح، ويتحاور معها في أشعاره، مثل: الهيجا، الحرب، الوغى، الصوارم، السهام، الأعداء، الجيش، النصول، الروع، الجماجم، القنى، الرمح والسنان، الضرب والطعن، القتل، المهند، الحسام^(٩٤). ومن ذلك قوله في مديح المصطفى

صلوات الله عليه:

وَأَجْمَهُ بَعْدَ الْمَرَّاحِ بِوَجْهِهِ
لَهَا افْتَرَّ دِينَ الْحَقِّ عَنِ ثَغْرِ بِاسْمِ
يُجْهِزُ لِلْأَعْدَاءِ جَيْشًا يَحْفُهُ
إِلَى الرَّوْعِ جَيْشًا أَذُوبٌ وَقَشَاعِمِ^(٩٥)
فالبيت الأوّل تناص مع قول المتنبي:

تَمَّرُ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهُكَ وَصَّاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمِ^(٩٦)
والبيت الثاني تناص مع قول المتنبي أيضًا:

حَمِيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ رَحْفُهُ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهَا زَمَازِمِ^(٩٧)
نلاحظ في البيتين إعادة لما قاله المتنبي في مدحه سيف الدولة مستخدمًا ألفاظًا يسعى
إلى محاكاتها، مثل: (الجيش، الخميس)، (ثغر باسم، ثغرك باسم)، وغالبًا ما تأتي هذه
الصور في علاقة تناصيّة، فالشاعر حاور المتنبي بألفاظه بشيء من التصرّف والتغيير، ثم
أورد المعنى في عبارة أخرى.

المبحث الثاني

الطباق

الطباق في اصطلاح البلاغيين: «الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة»^(٩٨)، وقد يتداخل المعنى البلاغي للطباق والمعنى البلاغي للمقابلة؛ لأنَّ الأخيرة ما هي إلا طباق متعدّد، وقد عرّفوها بأن الشاعر: «يأتي بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمَّ يقابلها على الترتيب»^(٩٩).

واختلف العلماء في موقع (المقابلة) من (الطباق)، فقد درسها ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) بعد الطباق في كتابه العمدة^(١٠٠)، ودرسها السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) في مفتاح العلوم بعد الطباق^(١٠١)، وأدخلها ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في الجامع الكبير في الطباق^(١٠٢)، وأدخلها أيضًا القزويني (ت ٦٨٢ هـ) في الطباق^(١٠٣)، ومنهم من رفض إدخالها فيه^(١٠٤).

وفرّق العلماء بين الطباق والمقابلة بأنَّ المقابلة طباق متعدّد، «فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة»^(١٠٥)، وعليه فالطباق والمقابلة من حيث الموضوع شيء واحد^(١٠٦)، وقد كان البحث جامعاً بين هذه الأنواع من مقابلة أو طباق، أو إيهام التضاد، أو غير ذلك تحت عنوان عام هو (الطباق)^(١٠٧).

أمّا حازم القرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) فقد قال: «قد تكلم الناس في ضروب المطابقات، وبسطوا القول فيها، فلا معنى للإطالة، إذ قصدنا أن نتخطّى ظواهر هذه الصناعة

وما فرع الناس منه إلى ما وراء ذلك ممّا لم يفرع منه»^(١٠٨).

والطباق من ناحية أخرى هو نوع من التوازن الضروري لاستمرار الكون والكائنات، المادي منها والمعنوي^(١٠٩)، ولم يكن من باب المصادفة أن يتنبه العلماء العرب القدماء إلى ما في التضاد من قيم جمالية، فيجعلوا منه باباً رئيساً اسمه (الطباق)، وهو في رأس المحسنات المعنوية واللفظية، فالطباق فنٌ أسلوبى اشتهر في الأدب العربيّ وشاع على ألسنة العامة والخاصة قديماً وحديثاً بتسمياته المتعددة، فقد سمى المطابقة، والتكافؤ، والتضاد، على حدّ سواء، ولا يزال الشعراء في حاجة إلى أبرزه بما يكمن فيه من الاستخدامات البلاغية التي يعدّ الطباق واحداً من أبرزها^(١١٠).

وقد استعمل السيد صادق الفءام الطباق؛ لما له من أثر فى النصوص الأدبية سواء أكانت هذه النصوص شعرية أم نثرية، فالطباق يضيف للنصّ جمالية رائعة في ظاهر اللفظ والدقة في المعنى، ويجعل للنصّ روحاً ناطقة تؤثر في سامعيه وقارئيه، كما أنه يعطي فعالية للنصّ وحركية، فإذا ما ذكر الشيء تبادر للذهن ضده، ومن هذا قول السيد الفءام في مديح الإمام عليّ عليه السلام:

فكُنْ شافعاً فيها لينحط إصرها
ويُرفع في دار الخلود مقامها
إمام أقام الدين بعد انهدامه
بييض ظبى بالسمر صح ائتمها
فإن تعف عن قوم ففي الله عفوها
وإن تتقم منهم ففيه انتقامها
بأيدي رجال تعلم الحرب أتهم
ذووها إليهم نقضها وانبرامها

فَفي السِّلْمِ مَوْكُولٌ إِلَيْهِ اسْتِلابُهَا

وَفِي الْحَرْبِ مِنْهُمْ بِالنُّصُولِ اصْطِلابُهَا^(١١١)

الطباق بين (ينحطُّ) و(يرفع)، (أقام) و(انهدم)، (العفو) و(الانتقام)، (التنقص) و(الإبرام)، (السلم) و(الحرب)، فلا شكَّ أنَّ حضور هذا القطب من البديع يضيف قيمة بلاغيةً على الشعر، ففي البيت الثاني يحاول الشاعر باستخدام الطباق تقوية المعنى على أنَّ الإمام هو الذي ميَّز بين الحقِّ والباطل، فالشاعر يقول إنَّ الإمام مخيَّر في أن يعفو أو ينتقم، أن يسالم أو يجارب؛ لأنَّهم نقضوا العهود بعد انبرامها، وليس لهم عهد ولا ميثاق! وأحياناً يستخدم السيّد ألفاظاً بسيطة، لكن الطباق يساهم في تقويتها:

وَإِنْ فَعَدْتَ لِلدِّينِ فِي النَّاسِ حُجَّةً

فَفِيهِ عَلَى الْحِصْمِ الْأَلَدُ قِيَامُهَا

فَتَى فُتِحَتْ فِيهِ الْهَدَايَةُ مِثْلَمَا

غَدَا بِنَيْهِ الطَّاهِرِينَ خِتَامُهَا^(١١٢)

فالطباق يضفي على هذه المعاني البسيطة قيمة جمالية، إذ أعطى للحجّة صفة القيام والقعود، وأعطى للهداية صفة الفتوح والختام، فتتجلّى في البيتين لمحات فنية وشاعريةً مكتملة وجمالية ناضجة، وكأنّه حدث يشاهده المتلقّي ويراها ماثلاً أمامه، لذلك يُكثر السيّد من الطباق، وهذا دليل على أنّه من الأسس الجمالية لصناعة الكلام بالأساليب التي تلامس الوجدان وتحقّق الاستجابة الجمالية من وراءه.

أنواع الطباق

يقسم الطباق إلى حقيقيٍّ ومجازيٍّ، وكلُّ منهما إمّا لفظيٍّ أو معنويٍّ، وأمّا طباق إيجاب أو طباق سلب، فالحقيقيُّ هو أن تأتي بألفاظ حقيقة كالجمع بين اسمين أو فعلين

أو حرفين^(١١٣)، وهو طباق الإيجاب، فمثال الأوّل قول السيّد صادق الفحّام في مدح الإمامين موسى الكاظم والجواد عليهما السلام:

فَيَقْرِي ذَا الضَّلَالِ هُدًى وَرُشْدًا

وَذَا الْأَقْتَارِ مِنَّا وَامْتِنَا حَا^(١١٤)

حيث طابق السيّد بين (الضلال) و(الهدى)، أي طابق بين الشيء وضمده، لذا فهو طباق إيجاب؛ لأنّ الضدّين لم يختلفا إيجاباً وسلباً، كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْفَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾^(١١٥)، ومضمون البيت أنّ من يصل للإمامين سلام الله عليهما ضالّاً فيهدى أو من به ضيقة العيش ستزول وتنحني.

ومثال النوع الآخر أي (الفاعلين) قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾^(١١٦)، وقول السيّد الفحّام في مدح الأمين المصطفى محمّد صلوات الله عليه:

فَيَهْزِمُ مِنْ أَبْطَاهَا غَيْرَ غَانِمٍ

وَيَغْنِمُ مِنْ أَمْوَالِهَا غَيْرَ هَازِمٍ^(١١٧)

فطابق السيّد بين الفاعلين (يهزم) و(يغنم)، وفي البيت نفسه طابق بين اسمين أيضاً في قوله (غانم) و(هازم)، ومثال النوع الثالث أي طباق الحرفين، قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، والطباق بين الحرفين (لها، عليها)، وقول السيّد صادق راثياً الحاج قاسم البغدادي:

فَقُولَا لَهُ لَا يَجْزَعَنَّ فَكُلُّ ذِي

حَيَاةٍ عَلَيْهِ اللَّهُ بِالْمَوْتِ حَاكِمٌ^(١١٨)

أمّا الطباق المجازي، فهو أن تأتي بالفاظ مجازيّة على غير الحقيقة، ويشترط فيه: أن

يكون المعنيان المجازيَّان متقابلين أيضًا، فإذا لم يكن كذلك يختلط بإيهام الطباق^(١١٩)، كقول الإمام عليّ عليه السلام: «احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع»^(١٢٠)، أي احذروا الكريم إذا ضيم، واللئيم إذا أكرم، فعبر عن الضيم بالجوع، وعن الإكرام بالشبع.

وقول السيّد عليه السلام في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

وَأَبِي الْمُرْتَضَى عَلِيٍّ إِمَامُ الـ

خَلَقَ طُرًّا مِنْ بَيْنِ قَاصٍ وَدَانٍ؟^(١٢١)

فعبر السيّد بقوله (قاص ودان) عن الناس أجمعين، أي كلّ الناس يعرفونه ويعرفون نسبه، سواء كان حاكمًا أو محكومًا، وهذا مجاز، والمعنيان متقابلان.

ومن الطباق المجازيِّ أيضًا قول السيّد صادق الفحّام مادحًا أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه:

أَم مَشِيْبٌ أَمَّ بِي قَبْلَ شَيْبِي

أَم حَيْبٌ بَعْدَ الْوِصَالِ جَفَانِي^(١٢٢)

فالطاق بين (مشيب وقبل شيب) كناية عن الكبر والصغر، فاستعمال الشاعر للطباق المجازيِّ هو مظهر من مظاهر الاستخدام البلاغيِّ الرائع الذي يضيف إلى النصّ الشعريِّ روعةً في المعنى وعذوبةً في اللفظ، وهذا ليس بعيدًا عن مفهوم أهل اللغة، لذلك استخدم السيّد الطباق المجازيِّ، وأتى بألفاظ مجازية غير حقيقية، وهذا الطباق أضاف جماليةً في الأسلوب، وروعةً في المعنى.

أمّا طباق السلب: فهو الجمع بين فعليٍّ مصدرٍ واحدٍ أحدهما مثبت والآخر منفيٍّ، أو أحدهما أمر والآخر نهي^(١٢٣)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٢٤)، وقول السيّد عليه السلام:

صَرَفْتُ إِلَيْكَ الْمَدْحَ وَالْمَدْحُ صَادِقٌ

فَلَا يَنْصَرِفُ عَنْكَ الرَّجَا وَهُوَ كَاذِبٌ^(١٢٥)

فطابق السيد بين الفعلين اللذين هما من مصدر واحد، الأول مثبت والآخر منفي، وهو قوله (صرفت) و(لا ينصرف)، فاستعمل السيد الفحّام هذا النوع من الطباق لكونه من المحسنات البديعية، فنراه يطابق في بيت واحد بين اسمين (صادق وكاذب) وبين فعلين أيضاً، أي بين السلب والإيجاب، وقد قال ابن سنان الخفاجي: «وبعض أصحاب صناعة الشعر يجعلون (السلب والإيجاب) فناً مستقلاً، ولم يجعلوه من المطابق»^(١٢٦).

وقوله أيضاً رائيّاً السيد أبا محمّد المهديّ المرتضى الطباطبائيّ:

مَا لِلْمَعَالِي شَيْعَتُهُ وَلَمْ تَوْبُ

وَأَرَى الْمَشِيْعَ غَيْرَهَا قَدْ آبَا^(١٢٧)

طابق السيد بين الكلمتين (لم توب، آبا) وهما أيضاً فعلاً من مصدر واحد، الأول منفي والآخر مثبت، وهذا النوع من الطباق فريد من نوعه، فكيف يكون الجمع بين الفعل ونفيه طباقاً، ربّما يقصده الشاعر لتحقيق الكناية أو التورية.

أثر الطباق في شعر السيد صادق الضحّام

استخدم الشاعر في شعره هذا النوع من المحسنات البديعية واستحسنه كثيراً، فملاً قصائده من المتوازنات والمطابقات، وهو لا يعبأ أن يوازي بين شيئين مختلفين ومتضادين في التكوين الواقعي والمثالي، والإيجاب والسلب، والمفرد والمتعدد، فيقول السيد في مدح رسول الله ﷺ:

لَهُ قَامَ بِالْمِعْرَاجِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ

بِهِ قَعَدَتِ دَعْوَى الْجُهُولِ الْمُخَاصِمِ

إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ أَشْكُو وَإِنَّهَا

شِكَايَةٌ مَظْلُومٍ بِصُورَةِ ظَالِمٍ^(١٢٨)

فيقول: إنَّ المعراج الذي خرج به رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وقام به قد أقعد دعوى الجهل وردَّ كيده، ثمَّ يوازي في البيت الثاني هذا الفن البديعيَّ على نفسه، فيطابق بين (الظالم) و(المظلوم)؛ ليعبد عن نفسه مدح النفس، فيقول إنَّه مظلوم، لكنَّه يشكو إلى الله بصورة الظالم، فهذا الطباق له أثرٌ بارزٌ في النصِّ الأدبيِّ؛ لأنَّ المطابقة تضيف جماليَّةً ورونقاً وحلياً على لفظه ومعناه فيستعذبه السامع؛ لأنَّ تناسق الأضداد وإطرائها يجعل البهجة في النصِّ ويؤلِّفه على نسقٍ متوازٍ تتراح النفس الإنسانيَّة عند سماعه^(١٢٩)، ومن طباق المعنى أيضاً قوله مادحاً رسول الله ﷺ:

وَمَالِي بِأَصْنَافِ الخُطُوبِ فَحَالَ فِي

عُيُونِي نَهَارًا عَن ضِيَاءِهِ وَأَظْلَمًا^(١٣٠)

ففي البيت طباقان بين (الضياء والظلمة) و(بين النهار والليل)؛ إذ عبَّر الشاعر عن الليل بقوله: (أظلم)، فيتَّضح المعنى في هذا القول؛ لأنَّ النهار ضدُّ الليل، فهو إذن طباق بالمعنى لا باللفظ، والجر جانيُّ هو القائل في المطابقة قولاً يخصُّ منها التي لا تُعرف إلا بالنظر الثاقب: «وأما المطابقة فلها سعة خفيَّة، وفيها مكان تغمض، وربَّما التبس بها أشياء لا تتميز إلا بالنظر الثاقب، والذهن اللطيف، ولاستقصائها موضع هو مالك به»^(١٣١)، فهذا الطباق يعطي النصَّ جاذبيَّةً فعَّالة؛ لأنَّ جرس اللفظة المضادَّة لمؤثر في المستمع تأثيراً يكاد يخطف القلوب ويأخذ مسامعهم؛ لما له من التأثير الروحيِّ عليهم.

اختلاط الطباق مع المحسنات البديعيَّة

قد يتواسج الطباق مع المحسنات الأخرى؛ ليكون أكثر حسناً وجمالاً^(١٣٢)،

كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١٣٣)، وقول السيد صادق الضحّام مادحًا الأمين المصطفى ﷺ:

سَمَا لَيْلَةَ الْمِيَلَادِ سَاطِعُ نُورِهِ

فَأَخْمَدُ نُورَ الْعُرْبِ نَارَ الْأَعَاجِمِ^(١٣٤)

الطباق بين (العرب والأعاجم)، ففي هذا التركيب تواشج الاستعارة مع الطباق؛ إذ استعار الشاعر النار للعرب بقريئة أخذ مثلها استعار النار للأعاجم، لكن استعارته النار للأعاجم بدون قريئة وهذه استعارة، فأرسل الشاعر المطابقة موشية بالاستعارة، وهناك ظاهرة اختلاط الطباق بالتجنيس في شعر السيد الضحّام، والتجنيس الذي تكون فيه اللفظة واحدة والمعنى مختلفًا، في حين ترى الطباق يخصُّ الأضداد، وهذا الاختلاط يحدث في استخدام اللفظة التي تُستعمل للضدّين مثل كلمة (جلل) بمعنى صغير وعظيم، فباطنه كان طباقًا، وظاهره كان تجنيسًا، وكلمة (الجون) التي تعني الأبيض والأسود، وإذا أدخل النفي على المطابق أصبح تجنيسًا، كقول السيد صادق رائيًا الشيخ زين العابدين النجفي:

مَعَ الْعِزِّ مَرْمُوسٌ تَوَارَى بِرِمْسِهِ

مِنَ الْفَضْلِ طَوْدٌ شَامِخُ الْفَرَعِ رَائِسُ^(١٣٥)

وقوله أيضًا في مدح النبي الأكرم محمد ﷺ:

إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ أَشْكُو وَإِيَّهَا

شِكَايَةُ مَظْلُومٍ بِصُورَةِ ظَالِمٍ^(١٣٦)

فهذا مجانس في ظاهره وفي باطنه مطابق؛ لأنَّ كلمة مرموس المغطى بالتراب تخالف كلمة رائس، أي الذي يغطي بالتراب، وكذلك كلمتي ظالم ومظلوم متجانستان في

اللفظ مختلفتان في المعنى، فالجمع والإدماج في المحسنات البديعية في شعر السيّد صادق الفحّام هو توفيق في النصّ من حيث اللفظ والمعنى، وكذلك الاختلاط بالجناس من الجمع بين الفاعل والمفعول نحو خالق ومخلوق وطالب ومطلوب، وهما ضدّان في المعنى، وإن تجانسا في اللفظ، ونحو مُكْرَم ومُكْرَم وما جرى مجراه.

نتائج البحث

أهمُّ النتائج التي تمخّضت عن هذا البحث، هي:

١. ظهر الأثر الدينيّ جلياً في شعر الشاعر؛ نتيجة تناصّه مع القرآن الكريم والحديث النبويّ وكلام أهل البيت عليهم السلام.
٢. كان لتناصّ الشاعر مع القرآن الكريم أثرٌ إيجابيٌّ في تكوين تجربته الشعرية، وهذا ما جعل أشعاره مادةً غنيّة مليئةً بالمضامين الدينية والتاريخية.
٣. تبيّن بالبحث أنّ الشاعر يتناص مع العديد من أقوال الشخصيات ممّن سبقوه، وقد أدرجته ضمن التناص مع الموروث، فالتراث العربيّ ومصادره رافداً مهماً من روافد القصيدة العربية، فأسهّم ذلك في الكشف عن شعريّة النصّ، ومكّنه من تحقيق التوسّع الدلاليّ في مفردات القصيدة، فجعلها غنيّة بالإيحاءات والدلالات التي أسهمت في نقل رؤيته إلى الواقع والحياة.
٤. ظهرت البراعة الفنيّة لدى الشاعر في استخدام التراث الدينيّ في التناص؛ لإيصال الفكرة الكامنة في داخله إلى المتلقّي، فكشفت الدراسة عن المستوى الثقافيّ الذي كان يتمتع به الشاعر.
٥. إنّ النهل من التراث الدينيّ والتاريخيّ يتطلّب ثقافةً واسعةً، لكي يكون الشاعر قادراً على إغناء تجاربه الشعرية، وتجربة الشاعر غنيّةً بالتناص، ممّا يؤكّد أنّه غدّي نفسه بألوان عديدة من الثقافات، فلديه من الثقافة ومصادر

المعرفة الشيء الكثير، والقارئ يستطيع أن يصل إلى هذه العناصر بيسرٍ وسهولةٍ.

٦. الطباق هو أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا شرطها بشرط وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط، وكان ذلك باتفاق أهل الصنعة.

٧. ورد الطباق في شعر السيد صادق الفحّام بأنواعه الحقيقي والمجازي واللفظي والمعنوي، وكذلك طباق الإيجاب والسلب.

٨. يختلط الطباق مع المحسنات البديعية الأخرى كالاتعارة والتورية والجناس والسجع، وهذا ما يجعل البيت الشعري أكثر حسناً وجمالاً.

٩. ظهر تأثر الشاعر بالقدماء أمثال المتنبي الذي كان يطابق كثيراً في شعره بين الشجاعة والجبن والسلم والحرب والكريم والبخيل... إلخ.

١٠. للطباق أثر كبير في النص الشعري، فهو لا يُعرف إلا بالنظر الثاقب للنص، فهو يضيف جمالية على لفظه ومعناه، فيستعذبه السامع.

هوامش البحث

- (١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٨١ / ٢.
- (٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣٤٨ / ٢.
- (٣) التناص النشأة والمفهوم: ١٦-١٧.
- (٤) التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة: ١٨.
- (٥) المبدأ الحوارية: ١٢٩.
- (٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٩١ / ١.
- (٧) التناص الديني عند أبي العتاهية: ١٧.
- (٨) ديوان السيد الفخام: ٨٩.
- (٩) الأحزاب: ٣٣.
- (١٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١٩٨ / ٥.
- (١١) ديوان السيد الفخام: ٩٠.
- (١٢) البقرة: ١٩٥.
- (١٣) آل عمران: ١٠٣.
- (١٤) ديوان السيد الفخام: ٩٠.
- (١٥) الحجر: ٤٦.
- (١٦) طه: ١١-١٢.
- (١٧) ديوان السيد الفخام: ٨٠.
- (١٨) البقرة: ٣٧.
- (١٩) الكافي: ٨ / ٣٠٥.
- (٢٠) هود: ٤٠.
- (٢١) قصص الأنبياء: ٨٢.
- (٢٢) ديوان السيد الفخام: ٨٠.
- (٢٣) الأنبياء: ٦٨-٦٩.

- (٢٤) يُنظر: بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ٣٩/١٢.
- (٢٥) المصدر نفسه: ٣٥٠/١٢.
- (٢٦) ديوان السيّد الفخّام: ٨٠.
- (٢٧) الأعراف: ١٠٣.
- (٢٨) الأعراف: ١١٧.
- (٢٩) قصص الأنبياء: ١٦٧.
- (٣٠) آل عمران: ٢٩.
- (٣١) بحار الأنوار: ٢٣٣/١٤.
- (٣٢) ديوان السيّد الفخّام: ٨٠.
- (٣٣) القلم: ٤٨.
- (٣٤) الصفات: ١٤٢.
- (٣٥) بحار الأنوار: ٣٩٩/١٤.
- (٣٦) يوسف: ٩٣.
- (٣٧) معالم التنزيل: ٢٧٦/٤.
- (٣٨) ديوان السيّد الفخّام: ٨٠.
- (٣٩) البقرة: ٢٥١.
- (٤٠) سبأ: ١٠.
- (٤١) التحرير والتنوير: ١١٥.
- (٤٢) ديوان السيّد الفخّام: ٨١.
- (٤٣) قصص الأنبياء، قطب الدين سعد بن هبة الله الراوندي: ١٠٦.
- (٤٤) التناص الديني عند أبي العتاهية: ٨١.
- (٤٥) ديوان السيّد الفخّام: ١٠٣.
- (٤٦) البقرة: ١٢٧.
- (٤٧) ديوان السيّد الفخّام: ٩٠.
- (٤٨) طه: ٩-١٠.
- (٤٩) ديوان السيّد الفخّام: ٩٦.
- (٥٠) الاختصاص: ٢٣٨.
- (٥١) المصدر السابق: ٩٥.
- (٥٢) الأمالي للطوسي: ٥٥٥.

- (٥٣) بحار الأنوار: ٢٣٨.
- (٥٤) ديوان السيّد الفحّام: ٧٣.
- (٥٥) الاحتجاج: ١/٣٥٩.
- (٥٦) قصص الأنبياء: ٨٢.
- (٥٧) ديوان السيّد الفحّام: ٩٠.
- (٥٨) الأمالي للطوسي: ٦٥٤.
- (٥٩) آل عمران: ١٠٣.
- (٦٠) ديوان السيّد الفحّام: ٢٠١.
- (٦١) بحار الأنوار: ٢٧/١٦٩.
- (٦٢) المصدر السابق: ٧٣.
- (٦٣) بحار الأنوار: ١٢/١٤.
- (٦٤) الأمالي للقمي: ٣٨٣.
- (٦٥) أثر القرآن الكريم في شعر الزهد في العصر العبّاسي الأوّل: ٨٣.
- (٦٦) ديوان السيّد الفحّام: ٢٧٥-٢٧٦.
- (٦٧) ديوان أبي العلاء المعري: ١٩٣.
- (٦٨) التناص في شعر الرواد: ٥٠.
- (٦٩) التناص التراثي في الشعر المعاصر: ٧٨-٧٩.
- (٧٠) الخطيئة والتكفير من النبويّة إلى التشريحيّة، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: ٥٢-٥٣.
- (٧١) التناص الديني عند أبي العتاهية: ٨١.
- (٧٢) ديوان السيّد الفحّام: ١٠٩.
- (٧٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ١/٦٠.
- (٧٤) المصدر السابق: ٥٦.
- (٧٥) خزانة الأدب وغاية الإرب: ٢/٤٥٦.
- (٧٦) الأدب العربي في كربلاء: ٤١٠/٤٠٩.
- (٧٧) لسان العرب لابن منظور: ١٣/٤٣١.
- (٧٨) ديوان السيّد الفحّام: ٥٣٥.
- (٧٩) ديوان يوسف بن لؤلؤ الذهبي: ١١٥-١١٦.
- (٨٠) المصدر السابق: ٣٣٧.
- (٨١) السحر الحلال في الحكم والأمثال لأحمد الهاشمي: ١/٩٦.

- (٨٢) التنصص الدينيّ عند أبي العتاهية: ٨٧.
- (٨٣) ديوان السيد الضحّام: ١٣٧.
- (٨٤) ديوان امرئ القيس: ١١٤.
- (٨٥) الحدائث وما بعد الحدائث: ٣٧٦.
- (٨٦) ديوان المتنبيّ: ٣٩٣.
- (٨٧) التنصص الدينيّ عند أبي العتاهية: ١٠٢.
- (٨٨) التنصص في شعر الرواد: ٦١-٧١.
- (٨٩) ديوان السيد الضحّام: ٣٧١.
- (٩٠) طه: ١٢.
- (٩١) الأنوار العلويّة والأسرار المرتضويّة (في أحوال أمير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته):
٤٢٤-٤٢٥.
- (٩٢) ديوان السيد الضحّام: ٧١.
- (٩٣) ديوان المتنبيّ: ٣٨٥.
- (٩٤) المصدر السابق: ٧١.
- (٩٥) ديوان المتنبيّ: ٣٤٤.
- (٩٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦.
- (٩٧) المصدر السابق: ٣٤٤.
- (٩٨) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ٣٤٨-٣٥٥.
- (٩٩) المصدر نفسه: ٣٥٣.
- (١٠٠) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده: ١/٥٩٠.
- (١٠١) مفتاح العلوم: ١/٥٣٣.
- (١٠٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢١٢.
- (١٠٣) الإيضاح للقزوينيّ: ٥٣٥.
- (١٠٤) خزانة الأدب وغاية الإرباب: ١/١٥٧-١٩٢.
- (١٠٥) المصدر نفسه: ١/٥٩٠.
- (١٠٦) البلاغة وفنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): ٢٧٨.
- (١٠٧) فن الطباق في أدب التوقيعات: ١٢٧.
- (١٠٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٥١.
- (١٠٩) البديع في شعر شوقي: ٢٥١.

- (١١٠) فن الطبايق في أدب التوقيعات: ١٢٥ .
(١١١) ديوان السيّد الفحّام: ٨١ .
(١١٢) المصدر نفسه: ٨٢ .
(١١٣) معجم البلاغة العربيّة: ٣٦٨ .
(١١٤) المصدر السابق: ٤٩ .
(١١٥) الكهف: ١٨ .
(١١٦) آل عمران: ٢٦ .
(١١٧) ديوان السيّد الفحّام: ٧٢ .
(١١٨) المصدر نفسه: ٢٠٧ .
(١١٩) أنواع الربيع في أنواع البديع: ٣٧/٢ - ٣٩ .
(١٢٠) نهج البلاغة: ٥٧٥ .
(١٢١) ديوان السيّد الفحّام: ٨٧ .
(١٢٢) المصدر نفسه: ٨٤ .
(١٢٣) معجم البلاغة العربيّة: ٢٧٨ .
(١٢٤) الزمر: ٩ .
(١٢٥) ديوان السيّد الفحّام: ٣٤٩ .
(١٢٦) المصدر السابق: ٢٨٩ .
(١٢٧) ديوان السيّد الفحّام: ١٥٣ .
(١٢٨) المصدر نفسه: ٧٣ .
(١٢٩) الطبايق في العربية: ١٥ .
(١٣٠) ديوان السيّد الفحّام: ٧٥ .
(١٣١) الوساطة بين المتنبّي وخصومه: ٤٤ .
(١٣٢) الطبايق في العربية: ١٦ .
(١٣٣) الرعد: ١٢ .
(١٣٤) ديوان السيّد الفحّام: ٦٩ .
(١٣٥) المصدر نفسه: ١٨٥ .
(١٣٦) المصدر نفسه: ٧٣ .

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم.
1. نهج البلاغة.
 2. أثر القرآن الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول، هالة فاروق فرج العبيدي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
 3. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، قم، إيران، مطبعة شريعة، إنتشارات المكتبة الحيدريّة، ط١، ١٤٢٥هـ.
 4. الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن العكريّ البغداديّ الملقّب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، صحّحه وعلّق عليه عليّ أكبر الغفاريّ، ربّت فهارسه السيّد محمود الزرنديّ المحرمي، بيروت، لبنان، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
 5. الأدب العربيّ في كربلاء من إعلان الدستور العثمانيّ إلى ثورة تموز ١٩٥٨، أنجأهاته وخصائصه الفنيّة، عبّود جوديّ الحليّ، كربلاء، العراق، دار الفتنّ للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
 6. الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، قم، إيران، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ.
 7. الأمالي، أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسن بن بابويه المعروف بالصدوق القميّ (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم، إيران، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، ط١، ١٤١٧هـ.
 8. الأنوار العلويّة والأسرار المرتضويّة (في أحوال أمير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته)، الشيخ جعفر النقديّ (ت ١٣٧٠هـ)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، ط٢، ١٩٦٢.
 9. أنواع الربيع في أنواع البديع، عليّ صدر الدين ابن معصوم المدني، تحقيق شاکر هادي شکر، النجف الأشرف، العراق، مطبعة النعمان، ط١، ١٣٨٨هـ/١٨٦٨م.
 ١٠. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، أبو عبد الله بن زكريا القزويني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، د.ت.

١١. بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.
١٢. البديع في شعر شوقي، منير سلطان، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط٢، ١٩٩٢.
١٣. البلاغة وفنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، فضل حسن عباس، عمان، الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د.ت.
١٥. التناص التراثي في شعر الرواد، عصام حفظ الله واصل، عمان، دار فيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.
١٦. التناص الديني عند أبي العتاهية، حسين علي بشير بهار، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٤.
١٧. التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، القاهرة، مصر، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
١٨. التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ليديا وعد الله، عمان، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
١٩. التناص النشأة والمفهوم، جدارية محمود درويش نموذجاً، إيمان الشيني، مجلة أفق الإلكترونية، ٢٠١٣.
٢٠. الجامع الكبير، ضياء الدين الجزري، تحدث عنه الدكتور مصطفى جواد، الدكتور جليل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
٢١. الحدائث وما بعد الحدائث، بيتر بروكر، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة الدكتور جابر عصفور، أبوظبي، المجمع الثقافي.
٢٢. خزنة الأدب وغاية الإرب، ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، بيروت، لبنان، مكتبة الهلال، ط٢، ١٩٩١.
٢٣. الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريعية، عبد الله الغدامي، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، جدة، النادي الثقافي، ط١، ١٩٨٥.
٢٤. الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، بيروت، لبنان، دار الفكر، ٢٠١٠.
٢٥. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، دار صادر، ط٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٦. ديوان الذهبي، يوسف بن لؤلؤ، جمع وتحقيق ودراسة دكتور عباس هاني الجراخ، بابل، العراق، دار الفرات، ٢٠٠٨.

٢٧. ءفوان سقط الزنء، أبو العلاء المعرفف؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار صاءر؁ ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
٢٨. ءفوان المنبفف؁ أءمء بن الءسفن؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار بفروت للطباعة والنشر؁ ء.ط؁ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢٩. السءر الءلال فف الءكم والأمءال؁ أءمء بن إبراهم بن مصطفف الهاشمفف (ت ١٣٦٢هـ)؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار الءتب العلمففة؁ ء.ت.
٣٠. الطباق فف العربفة؁ هءف عبء الءمفء السامرفف؁؁ الءامعة المسءنصرفة؁؁ كلفة الترففة الأساسية؁ ء.ت.
٣١. العمءة فف مءاسن الشعر وأءابه ونقهء؁ أبو علف الءسن بن رشفق الأزءف القفروافف؁ ءققه مءمء مءفف الءفن عبء الءمفء؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار الءفل؁؁ ط٤؁ ١٩٧٢.
٣٢. فن الطباق فف أءب التوففعات؁ منفرة فاعور؁ مءلة ءامعة ءمشق؁ ٢٠١٤.
٣٣. قصص الأنبفاء؁ قطب الءفن سعة بن هبة الله الراونءف؁ ءءقفق غلام رضا عرفانفان الفزءف؁؁ مشهء؁ ففران؁ مءمع البءوء الإسلامفة؁؁ مؤسسه الطبع والنشر فف الإسءانة الرضوففة المقدسه؁؁ ط١؁ ١٤٠٩هـ.
٣٤. الكافف؁ مءمء بن فعقوب الكلفنفف (ت ٣٢٩هـ)؁ ءءقفق علف أكبر الغفارف؁؁ طهران؁ ءار الءتب الإسلامفة؁؁ ط٤؁ ء.ت.
٣٥. لسان العرب؁ أبو الفضل ءمال الءفن مءمء بن مكرم ابن منظور الأفرفقف المصرف (ت ٧١١هـ)؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار صاءر؁ ط١؁ ٢٠٠٠.
٣٦. المباء الءوارف؁؁ مفءائل باءفن؁ ءءقفق فءرف صالء؁؁ المؤسسه العربفة للءراساء والنشر؁؁ ط٢؁ ١٩٩٦.
٣٧. المءل السائرف فف أءب الكاءب والشاعر؁ ابن الأءفر ضفاء الءفن الءزرف؁؁ ءءقفق مءمء مءفف الءفن عبء الءمفء؁ المكءبة العصرفة؁؁ صفءا؁ بفروت؁ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣٨. معالم التنزفل؁ الءسن بن مسعود البغوف (ت ٤١٦هـ)؁ ءءقفق: عثمان ءمعة ضفرفة؁ سلففان مسلم الءرء؁؁ ءار طففة للنشر والتوزفء؁ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٣٩. معجم البلاغة العربفة؁؁ بءوف طبانة؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار المنارة للنشر والتوزفء؁؁ ط١؁ ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٤٠. مفاء العلموم؁ فوسف بن مءمء بن علف السكافف؁؁ ءءء عنه عبء الءمفء هءءاوف؁؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار الءتب العلمففة؁؁ ء.ت.
٤١. منهاء البلغاء وسراج الأءباء؁ ءازم القرطاءف؁؁ ءءء عنه مءمء الءفب بن الءوءة؁؁ بفروت؁ لبنان؁ ءار الغرب الإسلامف؁؁ ط٢؁ ١٩٨٦.

- ٤٢ . الوساطة بين المتنبّي وخصومه، عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، عليّ محمّد البجاويّ، مصر، مطبعة عيسى البابيّ وشركائه، ١٩٦٦ .
- ٤٣ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، بيروت، لبنان، دار صادر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

